«محنة المؤمنين»

الحديث السابع عشر:

عن خبّابَ بنِ الأرتِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنّهُ قالَ:

«شَكَوْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهوَ متوسِّدٌ بُرْدَةً له في ظلِّ الكعْبَةِ فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لَنا؟ ألا تَدْعو لَنَا؟ فقال ﷺ: قَدْ كانَ مِنْ قَبْلِكُم يُؤْخَذُ الرَّجلُ فَيُحْفَرُ لهُ في الأرضِ فيُجْعَلُ فيها، ثمَّ يُؤتَى بالمنشارِ فَيُوضَعُ عَلى رأسِـــه فيجعلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ ما يَصُدُّه ذَلِكَ عنْ دينِه، والله ليتمنَّ اللهُ هذَا الأمرَ حتَّى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ، لا يخَافُ إلاّ الله، والذئبَ على غَنمِه، ولَكنَّكُمْ تَسْتَعْجِلون».

«رواه البخاري»

وجاء في رواية أخرى (وهُوَ مُتوَسِّدٌ بُرْدَةً وقدْ لَقينَا مِنَ المُشْرِكينَ شِدّةً).

الأبحاث العربية:

متوسّد بردة: توسّد الشيء: أي جعله وسادة تحت رأسه، والبُردة: الشمْلة المخطّطة وقيل: كساء اسود مربّع، والمعنى ان النبي ﷺ جعل بردته الشريفة وسادة تحت رأسه من اجل الراحة والنوم في ظلّ الكعبة، ويظهر انه كان في حالة تعب.

ألا تستنصر لنا: أي تسأل الله النصر لنا على الأعداء، لأن الألف والسين تفيدان الطلب.

من قبلكم: المراد به المؤمنون من الأمم السابقة الذين تحمّلوا الأذى في سبيل الله

كأتباع عيسى بن مريم.

ما يصدّه: أي ما يمنعه ويصرفه عن دينه تحمل ذلك العذاب بل كان الواحد يصبر حتى ولو نشر بالمنشار، أو مُشط بأمشاط الحديد وذلك دليل على قوة الايمان في قلبه.

هذا الأمر: المراد من الأمر هنا (الإسلام) أي لا بدّ ان يتم أمر الإسلام وتعلو دعوة الحق وينتشر هذا الدين في بقاع الأرض حتى يكون الأمن والأمان وقد حَدَث كما أخبر ﷺ.

تستعجلون: أي تطلبون العجلة في الأمور، ولكل شيء في علم الله اوان، فإذا حان الوقت جاءت نصرة الله كما قال تعالى ﴿**وكانَ حقاً علينا نصرُ المؤمنينَ**﴾ [1] وقال تعالى ﴿**ألا إنّ نصرَ الله قريبٌ**﴾ [2]

الأبحاث النحوية:

١ ـ (شكونا) فعل وفاعل، (إلى رسول الله) الجار والمجرور متعلق بشكونا.

٢ ـ (وهو متوسّد) مبتدأ وخبر والجملة حاليّة، (بردة) مفعول به لاسم الفاعل (متوسّد).

٣ ـ (ألا تستنصر) ألا أداة استفتاح يستفتح بها الكلام، واصلها (هَلاَ) قلبت الهاء همزة ليتعيّن معنى التمنّي، و(تستنصر) مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم.

٤ ـ (قد كان من قبلكم) قدْ: للتحقيق و (كان) فعل ماضٍ ناقص واسمها هو الموصول (مَنْ) وخبرها جملة (يؤخذ الرجل... الخ).

٥ ـ (فيجعل نصفين) مضارع مبني للمجهول، و(نصفين) مفعول به ثانٍ،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

ونائب الفاعل هو المفعول الأول.

٦ ـ (ولكنّكم تستعجلون) لكنَّ حرف استدراك ونصب و (الكاف) الضمير اسمها وخبرها جملة (تستعجلون).

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (شكونا إلى الرسول) جملة خبرية من الضرب الابتدائي، والغرض من الخبر (طلب الاسترحام) والاستعطاف، فقد خرجت الجملة عن غرضها الأصلي الى ما ذكرنا.

٢ ـ قوله (ألا تستنصر لنا) جملة انشائية من نوع (الإنشاء الطلبي) وهو يشمل (الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنداء) وهذا الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى التمنّي، وأصل (ألاّ) هلا كما تقدم.

٣ ـ قوله (يؤخذ الرجل) الرجل هنا (كناية) عن المؤمن او المؤمنة من أتباع الرسل السابقين، وهو (كناية عن موصوف).

٤ ـ قوله (هذا الأمر) الأمر هنا (كناية) عن دين الإسلام الذي جاء به خاتم المرسلين ﷺ.

٥ ـ قوله (والله ليتمنّ) جملة خبريّة من الضرب [الانكاري] لوجود القسم ولام التأكيد.

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث هو الصحابي (خبّاب بن الأرت) يكنى (أبا عبد الله) وهو تميمي النسب من السابقين إلى الاسلام، كان سادس من أسلم من الصحابة، وعُذِّب في سبيل دينه عذاباً شديداً، فقد كان مملوكاً لامرأة مشركة تسمى (ام انمار) فلما بلغها إسلام عمار كانت تأتي بقطعة من الحديد فتحميها في النار حتى تحمّر فتكوي بها رأسه وجسده لتردّه عن دينه فشكى ذات يوم أمره الى النبي ﷺ فقال رسول الله: اللهم

انصر خبّاباً، فاشتكت مولاته (ام أنمار) رأسها حتى كانت تعوي من شدة الألم مثل الكلاب، فقيل لها لا يمكن لك ان تتخلصي من الألم حتى تكتوي بالنار (آخر الدواء الكي)، فكان خبّاب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها، وقد سأل (عمر) رضي الله عنه خبابا عما لقي من المشركين فكشف له خباب عن ظهره، ففزع عمر وقال: ما رأيت كاليوم ظهرَ رجل، فقال له خبّاب يا أمير المؤمنين لقد أوقدت نارا من اجلي ووضعت عليها فما أطفأها إلا ودك (أي شحم) ظهري، فرقّ عمر لحاله ودمعت عينه لما اصاب خباباً رضي الله عنه، قال علي كرّمه الله (رحم الله خباباً، اسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسده، ولن يضيّع الله أجر من أحسن عملاً).. وكان خباب رضي الله عنه قيناً (اي حداداً) يصنع السيوف والدروع فكان له عند (العاص بن وائل) دين فلما جاء يتقاضاه (أي يطلب دينه) قال له: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد وتعود الى اللات والعزّى، فقال له خباب: لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك (يعني تموت ثم تبعث امامي الآن) فقال له العاص بن وائل: إني اذاً لميّت ثم مبعوث!؟ فانتظرني الى ذلك اليوم فسوف أعطي مالاً وولداً فأقضيك حقك فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة **﴿أفَرأيْتَ الّذي كَفرَ بآياتِنا وقالَ لأوتَيَنّ مالاً وولداً ★ اطّلع الغيبَ ام اتّخذَ عِنْدَ الرحْمَنِ عَهْداً﴾**[1] توفي خباب سنة (٣٧) هـ ودفن بالكوفة رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الادبي:

في رحاب البيت الطاهر، ومع نسمات الصباح الباكر، وبجوار الكعبة المشرفة، جلس رسول الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، جلس يريد الراحة، وتوسّد بردة له في ظلال الكعبة، بعد ان امتدت الشمس، فسطعت بأشعتها الذهبية على العالم، وأنارت بضيائها الوجود.. استلقى رسول الله ﷺ بفناء الكعبة يريد الراحة، بعد طول جهد وتعب... ولكن سرعان ما جاء اليه المستضعفون من

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٧، ٧٨.

المؤمنين، يشكون اليه شدة المشركين، وبطشهم بهم، وظلمهم واضطهادهم... جاءوا يطلبون من الرسول الكريم النصرة على الاعداء.. وان يدعو الله لهم لينقذهم من شر اولئك الكفرة الفجرة، أعداء الدين.. الذين عذّبوهم، واضطهدوهم، وآذوهم في انفسهم واموالهم، بسبب دخولهم في دين الله الحق، الذي جاء به خاتم النبيين!..

لقد جاء هؤلاء المؤمنون المستضعفون، يستنجدون ويستنصرون، يريدون من رسول الله ان يدعو على المشركين، بدعوة يعجّل الله لهم بها العذاب.. وهنا يجلس الرسول الكريم يعطي هؤلاء المظلومين درساً في (الثبات) و(الصبر) على العقيدة والمبدأ.. ويضرب لهم الامثال بالسابقين من المؤمنين، يذكّرهم بما أصاب اخوانهم في العقيدة والدين.!

لقد نُشروا بالمناشير، وأُحرقوا بالنار، ومشطوا بأمشاط الحديد، ونالهم من البلاء والشدائد، ما لا يخطر ببال، ومع ذلك لم تضعف عزيمتهم، ولم تستسلم نفوسهم للذل والهوان، ولم تؤثر فيهم تلك الشدائد والمحن، بل ظلوا على الايمان، مستمسكين بدين الله، مضحين بأنفسهم واموالهم في سبيل الله، وابتغاء رضوانه.. صبروا على العذاب، وتحملوا البلاء، ووقفوا في وجه الطغيان حتى نصرهم الله ﴿**فَما وَهَنُوا لِما أصابَهُم في سبيلِ اللهِ، ومَا ضَعُفُوا وما اسْتَكانُوا، واللهُ يحِبُ الصَّابرينَ**﴾ (١).

لقد أعطاهم الرسول ﷺ درساً بليغاً، وبشرهم بعد هذا الدرس، بانتصار الدعوة الإسلامية، وظهور هذا الدين العظيم على سائر الاديان، حتى يعمّ مشارق الأرض ومغاربها، فلن يستطيع الطغيان ان يقضي على دعوة الايمان، مهما تطاول او تجبر، فإن جند الله هم الغالبون.

ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما بشّر عنه وأخبر، حيث بدّل الله تبارك وتعالى خوف المسلمين أمناً، وذلهم عزاً، وضعفهم قوة، حتى سادوا العالم، وملكوا الدنيا، وانقاد لهم الناس طوعاً وكرهاً، وعم الأمن والرخاء ارجاء المعمورة، وأعزّ الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

المؤمنين المستضعفين، وارتفعت راية الحق، ودخل الناس في دين الله افواجاً.. وكان ذلك بفضل جهاد المؤمنين السابقين، الذين صبروا على تحمل الاذى في سبيل الدعوة وصدق الله: حيث يقول: ﴿وإنّ جندَنا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾ [1].

★ ★ ★

(١) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

«عقوق الامهات»

الحديث الثامن عشر:

عن المغيرةِ بن شُعْبَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ ومَنْعاً وهَاتِ، ووَأدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لكُمْ قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإضَاعَةَ المالِ».

«رواه البخاري»

الأبحاث العربية:

(عقوق الأمهات) مصدر عقَّ إذا عصى وأساء المعاملة قال حافظ:

عقَّنـــي الدهـــــرُ ولـــــولا أننـــي
أُوثـــرُ الحُسْنَـــى عقَقْـــتُ الأدَبـــا

والأمهات جمع (أُمّه) وهي خاص بمن يعقل ويقال (أمّاه) قال تعالى: ﴿وأمَّهاتُكُمُ اللاَّتي أرْضَعْنَكُمْ﴾ [1] وأما لفظ (الأم) فإنه يشمل من يعقل ومن لا يعقل.

(منعاً وهات): أي يمنع ما وجب عليه من حق للغير، ويطلب ما لا حق له فيه، كالشخص الذي يمتنع عن وفاء الدين، ويطلب إعطاءه حقوق الآخرين. فهو ظالم معتد من وجهين: ١ ـ لأنه مانع للحق الواجب عليه. ٢ ـ مغتصب لما ليس له بحق، قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ﴾ [2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الماعون، الآية: ٧.

(وأد البنات): أي دفنهن على قيد الحياة، وقد كان هذا من صنيع أهل الجاهلية قال تعالى: ﴿وإذا المؤودة سُئِلَتْ * بِأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ؟ [1].

وقال تعالى:

﴿أيُمْسِكُهُ على هُوْنٍ أم يَدُسُّه في التُّرابِ؟ ألاَ ساء ما يَحْكُمونَ﴾ [2].

وأول من وأد البنات (قيس التميمي) حين أسرت أبنته ثم أطلق سراحها فوأدها تخلصاً من العار، وأول من فدى المؤودة (صعصعة) جد الفرزدق وفيه يقول الفرزدق:

« وجدي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم توأدِ »

(قيل وقال): أي كثرة الكلام أو الجدل بالباطل، وهذا من نوع اللغو المنهي عنه. قال تعالى:

﴿والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [3] قال الجوهري: (قيل وقال)، اسمان بدليل دخول (أل) التعريف عليهما يقال: كثر القيل والقال.

(كثرة السؤال): المراد أن يسأل عما لا يعنيه قال تعالى: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤكُمْ﴾ [4]. أو المراد معارضة أوامر الرسل الكرام ففي الحديث: « إنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ».

(إضاعة المال): تبذيره وصرفه في الوجوه المحرمة كشرب الخمر، ولعب الميسر وغير ذلك مما حرَّمه الله تعالى.

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

الأبحاث النحوية:

١ ـ (إن الله حرّم) إنّ حرف توكيد ونصب، ولفظ الجلالة اسمها، وجملة حرّام عليكم في محل رفع خبر إنّ، و (عليكم) الجار والمجرور متعلق بحرّم

٢ ـ (منعاً وهاتِ) منعاً مصدر مَنَع وهو في محل نصب مفعول به معطوف على (عقوق) و (هاتِ) اسم فعل أمر بمعنى أعطني

٣ ـ (قيل) مفعول به لفعل (كره) فهي اسم ومثلها (قال) كما تقدّم.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (منعاً وهات) فيه (طباق ايجاب) وهو من المحسنات البديعية والطباق أن يجمع بين لفظين متقابلين في كلام واحد فلفظة (هات) بمعنى أعطني تقابل لفظة المنع في قوله (منعاً)

٢ ـ قوله (عقوق الأمهات، ووأد البنات) فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى بالسجع ومثله (قيل وقال، وإضاعة المال) فيه سجع قال في جواهر البلاغة: ولا يستحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم للمعاني، وإلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلف والتصنّع، وحينئذ يكون حِلْية ظاهرة في الكلام.

٣ ـ قوله (كره لكم قيل وقال) جملة خبرية من الضرب الابتدائي والغرض من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر).

الشرح الأدبي:

يهتم الإسلام بتربية أفراده على أساس من الفضيلة والخلق القويم، ويهتم كذلك بتنشئة الجيل الإسلامي تنشئة عالية تبعد عنه روح الانحلال والميوعة وتدفع به الى معالي الأمور. ولهذا نجد في هذا الحديث النبوي الشريف سمو الغاية، ونبل الدعوة، وقدسية الهدف الذي يسعى اليه الإسلام من أجل أن يبقى أفراده مجتمعين، متماسكين متعاونين، تحكمهم المحبة، وتربطهم الأخوة، ويجمعهم الإسلام في إطاره الإنساني الرحيم، إطار

المحبة والمودة والإخاء. فالرسول الكريم يبين في هذا الحديث الشريف الأمور التي يكرهها الله ويبغض أن يرى عليها عباده

وأول هذه الأمور أن يسيء الإنسان إلى أولى الناس بالرعاية، وأحقهم بالعناية، ألا وهي (الأم)، الأم التي حنت عليه فغذته بلبانها، وغمرته بحنانها، وآثرته على نفسها وراحتها، فشقيت من أجل راحته، وتعبت من أجل سعادته، وتحمَّلت الأثقال والآلام في سبيل أن ترى وليدها زهرة يانعة تعيش بين أزهار الربيع، فكم من ليلة سهرت من أجل راحته، لتطرد عنه شبح الخوف، أو تزيل عنه ألم المرض، وكم من ساعة قضتها بين جدران البيت تحمله على يديها، متعبة مثقلة لتواسيه في وقت شدته ومحنته، فهل يليق به بعد كل هذا أن يسلك طريق العقوق أو يجنح إلى الإساءة والعصيان؟! وصدق الله حيث يقول: ﴿**حَمَلَتْهُ أمه كُرْهاً ووضَعَتْهُ كُرهاً وَحَمْلُهُ وفصَالُهُ ثلاثون شَهْراً**..﴾[1] وذلك لعظم حقها على ولدها، وضخامة شأنها إذ هي السبب المباشر في حياة هذا الطفل بعد الله عز وجل ـ فلولا رعايتها وحنانها، ولولا تحملها المتاعب والآلام في سبيل تربية هذا الوليد الناشيء ـ لما تربَّى طفل ولما عاش إنسان!! فلا عجب إذاً أن نرى العناية بالأم تبلغ ذروتها وأن تصل إلى درجة أن يقول فيها الرسول الكريم «الجنة تحت أقدام الأمهات».. فمن أولى من الأم بالتعظيم والتكريم؟؟

وأما الأمر الثاني: الذي ينبغي اجتنابه فهو أن يكون الإنسان ظالماً يمنع ما وجب عليه من حق، ويطلب ما ليس له به حق، فهذا هو عين الظلم والعدوان، الذي عبَّر عنه رسول الله ﷺ بقوله(ومنعاً وهات) فهناك تكاليف مالية وتكاليف اجتماعية واجبة على الإنسان، عليه أن يؤديها على الوجه المطلوب فإذا منعها كان ظالماً

وأما الأمر الثالث: مما يبغضه الله ويحرمه الدين فهو ذلك الأمر الشائن المتناهي في القبح والإجرام أو وهو (وأد البنات) فقد كان عادة شائعة عند العرب في أيام الجاهلية فمنهم من يُئِد ابنته تخلصاً من العار، ومنهم يَئِدها خشية الفقر، ومنهم من

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

يَئِدها سفهاً وحماقة حيث كانوا يقولون: «الملائكةُ بنات الله فألحقوا البناتِ بالبنات» وفي أمثال هؤلاء يقول القرآن الكريم: ﴿**قد خسرَ الذينَ قَتَلُوا أولادَهُم سفهاً بغيرِ علْم**﴾ (١).

وأما الأمر الرابع: الذي حذّر منه الرسول الكريم والذي يبغضه الله ويمقته فهو كثرة القيل والقال، وكثرة الجدل والخصام، وكثرة الكلام تجر إلى الوقوع في المعاصي والمحرمات وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿**والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغْوِ مُعرِضُون**﴾ (٢)

وأما الأمر الخامس: فهو كثرة السؤال عما لا يعني الإنسان وعما ليس منه فائدة، فالمؤمن يشتغل بما يهمه ويدع ما لا يعنيه وقد قال صلوات الله عليه «منْ حسنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه»

وأخيراً فإنَّ النبي ﷺ ينهي عن تبذير المال وصرفه في غير الوجوه المشروعة، فإنَّ ذلك يدعو إلى الحسرة والندم، ويدفع بالإنسان إلى ذل السؤال كما قال تعالى: ﴿**ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ، ولا تَبْسُطْهَا كلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

«الكاسيات العاريات»

الحديث التاسع عشر:

عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضيَ اللهُ عنهُ، عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما: قَوْمٌ مَعَهُم سِيَاطٌ كأذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النَّاس.. وَنِساءٌ كاسِياتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلاَتٌ مُمِيلاَتٌ، رُؤُسُهُنَّ كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ كَذَا وكَذَا.. وفي رِوَايَة أخْرَى: وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمسِمائَةِ عَامٍ».

«رواه مسلم»

الأبحاث العربية:

صنفان: أي فئتان وفريقان مثنّى صنف بمعنى الفريق والجماعة وفي الأثر: (صنفان إذا صَلَحا صَلَح الناس، وإذا فَسَدا فسد الناس: العلماء والأمراء).

لم أرهما: المراد أنهما لم يكونا في زمانه ﷺ، وأنهما سيحدثان في المستقبل، وفيه معجزة للرسول الكريم حيث أخبر عن أمور مغيبة، وقدوقعت كما أخبر الصادق المصدوق.

سياط: جمع سوط وهو الجلد المضفور وهو آلم من العصا، وقد يراد بالسَّوط أنواع وضروب العذاب قال تعالى: ﴿**فصبّ عليهم ربّك سَوْط عَذَاب**﴾ (١).

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١٣.

كاسيات عاريات: المعنى كاسيات في الصورة، عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس شفّافة رقيقة لا تستر جسداً ولا تخفي عورة، والغرض من اللباس إنما هو الستر قال تعالى: ﴿لِبَاساً يُوارِي سَوْآتِكُم﴾[1] فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً.

ملائلات مميلات: أي يتبخترن في مشيتهنَّ بقصد الفتنة والأغراء، فهنَّ (مائلات) في مشيتهنَّ (مميلات) لقلوب الرجال بخلاعتهنَّ، يتصنّعْنَ الدلال، ويتقصَّدن إثارة الرجال، وهذا من عمل الفاجرات والعياذ بالله.

كأسنمة البخت: أصل السّنام: الشيء المرتفع، وسمّي القتب الذي على ظهر الجمل (سناماً) لأنه مرتفع، (والبُخْت) الإبل، والمراد أنهنَّ يصفّفن شعورهن فوق رؤوسهن حتى تصبح مثل سنام الجمل، أو تصبح كأنها شاهق من الجبل.

الأبحاث النحوية:

(صنفان): صنفان مبتدأ وخبره جملة (لم أرهما) وجوّز الابتداء به مع أنه نكرة لأنه موصوف فهو كقول ابن مالك (ورجل من الكرام عندنا)

(قوم): خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدهما قوم، وجملة (معهم سياط) صفة لقوم وجملة (يضربون) صفة لسياط

(رؤوسهن): مبتدأ وهو مضاف و (كأسنمةِ البخت) الجار المجرور في محل رفع خبر.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (سياط كأذنابِ) فيه تشبيه يسمَّى (مرسلاً مجملاً) أما أنه مرسل فلوجود أداة التشبيه، وأمَّا أنه مجمل فلأنَّ وجه الشبه غير مذكور وهو الغلظُ والمتانة أو الإيلام والشدة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

٢ ـ قوله (رؤوسهن كأسنمة) فيه أيضاً تشبيه يسمَّى (مرسلاً مجملاً) كسابقه وذلك لوجود أداة التشبيه، وحذف وجه الشبه

٣ ـ قوله (كاسيات عاريات) و (مائلات مميلات) فيه من المحسَّنات البديعية ما يسمّى بـ (السَّجع) وفي الجملة الأولى (طباق) وهو أيضاً من المحسَّنات البديعية

٤ ـ قوله (لا يدخُلنَ الجنَّة) جملة خبرية غرضها (التحذير والتخويف).

الشرح الأدبي:

معجزة من معجزات الرسول الكريم تظهر في هذا الزمان، الذي كثر فيه الفساد، وظهرت فيه الميوعة والانحلال، وانتشر التعري والتكشف بين النساء باسم المدنية، وباسم التحرر، وباسم تطور الزمان، فلم يعد هناك وازع من دين أو وجدان، وإنا لله وإنا إليه راجعون. فالرسول الكريم ـ وهو الصادق المصدوق ـ يخبر عن أهل النار، ويخص بالذكر منهم صنفين من البشر:

الصنف الأول: الظلمة الذين يعتدون على خلق الله وعباده بالضرب والإهانة والتعذيب والتنكيل، لا عن استحقاق بل لمجرّد حب التعالي والظهور، وإشباع نفوسهم المتعطشة إلى سفك الدماء، وتعذيب الأبرياء، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ الذِينَ فتنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثُمَّ لم يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جهنَّم وَلَهُمْ عَذَابُ الحريقِ**﴾ (١)

ولقد صوّر الرسول الكريم هؤلاء الظلمة وكأنه يشاهدهم ويراهم وهم يعتدون على الناس.. صوّرهم ومعهم تلك السياط الغليظة التي تشبه أذناب البقر في غلظها ومتانتها، أو في قسوتها وألمها، وهم ينهالون على الناس ضرباً وتعذيباً، وتنكيلاً وتشريداً، لا يرحمون أحداً لضعفه، ولا يقدّرون شخصاً لجاهه، بل هم يعتدون على الجميع بدون استثناء، وهذا ما ظهر في هذا الزمان وانتشر على أيدي

---

(١) سورة البروج، الآية: ١٠.

الزبانية، من أعوان الحكام الجائرين، الذين لا يخشون الله، ولا يحسبون حساباً لذلك الموقف الرهيب ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ (١).

أما الصنف الثاني: فهنَّ النسوة الفاجرات اللواتي خالفن تعاليم الدين وآداب الإسلام فخلعن ملابسهن، وكشفن عن سواعدهن وأفخاذهنَّ، ولبسن الملابس الرقيقة التي لا تستر جسداً، ولا تخفي عورة، وإنما تزيد في الفتنة والإغراء، ومشْين مشية فيها التخنث والتكسر، وفيها لفت أنظار الرجال

ولقد صوّر عليه أفضل الصلاة والتسليم هؤلاء النسوة وهنَّ يتبخترن في الشوارع والطرقات، ويتسكّعن في الأسواق والمنتديات، ليس لهنَّ عمل إلا إغراء الرجال، وإفساد الشباب والمراهقين، صوَّرهنَّ بصورة من تتقصّد إثارة الفتنة، وإغراء الرجل، حتى ليخيلّ الى الناظر أنها ـ بهذه المشية الخليعة ـ تدعوه إلى نفسها، وتراوده من أجل عمل الفاحشة بها وهذا هو معنى قوله ﷺ: «مائلات مميلات» أي أنهن مائلات في مشيتهن مميلات لقلوب الرجال يقصدن إثارة الشهوة في قلوبهم، ثم عدّد الرسول الكريم من قبائحن بأنهنَّ يصفَّفْنَ شعورهن حتى يصبح شعر الواحدة منهن مثل سنام الجمل في الارتفاع، وقد وضعت عليه أنواع الزينة، وصبغته بأنواع من الأصباغ المغرية، وكذَّسته فوق رأسها كأنه شاهق من الجبل، أو سدّ عال من سدود الصين

وقد ختم عليه الصلاة والسلام هذا الحديث الشريف بما يفزع له قلب الإنسان فقال: «لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها»...

وأي عذاب أشد من هذا العذاب أن يحرم الإنسان الجنة ونعيمها وألاَّ يجد ريحها أبداً مع أنَّ ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام، اللهم أحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنك سميع مجيب الدعاء.

★ ★ ★

(١) سورة المطففين، الآية: ٦.

«دعاة على أبواب جهنم»

الحديث العشرون:

«عنْ حُذَيْفةَ بنِ اليمانِ رضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ: كانَ النَّاسُ يسألونَ رسُولَ اللهِ ﷺ عنِ الخيرِ وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافَةَ أن يُدْركني، فقلتُ يا رسولَ اللهِ: إنَّا كنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءَنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بَعْدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قَالَ: نعمْ، قلتُ وهلْ بعدَ ذلكَ الشرِّ من خيرٍ؟ قالَ: نعمْ وفيهِ دَخَنٌ!! قلتُ: وما دَخَنُه؟ قالَ: قومٌ يهدونَ بغيرِ هَدْيٍ تَعْرِفُ منهم وتُنكِرُ، قلتُ: فَهَلْ بعدَ ذلكَ الخيرَ من شرٍّ؟ قَالَ: نعمْ، دُعَاةٌ على أبْوابِ جَهنَّمَ مَنْ أجابَهُمْ اليها قذفُوهُ فيها قلتُ صِفْهمْ لَنَا، قالَ: هُمْ مَنْ جِلْدتِنَا ويتكلَّمونَ بألسنَتِنَا!! قلتُ: فما تَأمرني إن أدركني ذلك؟ قَالَ: تلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم، قلتُ: فإنْ لم يَكنْ لهمْ جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قَالَ: فاعتزِلْ تِلكَ الفِرَق كلَّها وَلَوْ أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجرةٍ حتَّى يدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذَلِكَ».

«رواه البخاري ومسلم والترمذي»

الأبحاث العربية:

جاهلية: المراد بالجاهلية حياة (الشرك والوثنية) التي كان عليها العرب قبل الإسلام، وسميت جاهلية من الجهل بمعنى السَّفه والحماقة قال (عَمرو بن كلثوم):

«ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهِلينا

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَى﴾ [1] وعصرنا اليوم هو (عصر الجاهلية) بكل مظاهرها لأنه عصر الرجوع إلى الفوضى، والتحلل الخلقي، والفساد الاجتماعي بشتى صوره وأشكاله.

دَخن: الدَّخنُ مثل الدخان، وهو ما يخرج من النار إذا أُلقِي عليها حطب رطب، قال ابن الأثير في النهاية: وقد يطلق الدخن ويراد منه الكدر وهو أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد، ومنه هذا اللفظ في الحديث الشريف أي أنَّ الخير ليس خالصاً ولا صافياً بل فيه كدر لأن ظاهره غير باطنه.

بغير هَدْي: أي بغير علم ولا بصيرة، وبغير اتباع لهدْي الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تعرف وتنكر: المعنى تجد فيهم بعض أمور تتفق مع الشرع فتقرّهم عليها، وتجد أموراً أخرى منكرة لا يقبلها الشرع ولا العقل فتنكرها عليهم، فهم قد ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخر سَيِّئاً﴾ [2].

دعاة: الداعي قسمان داع إلى الهدى، وداع إلى الضلال، فالأنبياء يدعون الناس إلى طريق الهداية والرشاد، والشيطان وأعوانه يدعونهم إلى الغي والفساد. قال تعالى عن سيد الرسل ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [3]. والمراد من قوله «دعاة على أبواب جهنم» أي أنهم يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدُّونهم عن الهدى بأنواع من الخبث والمكر والخداع.

جلدتنا: المراد أنهم منا وأنهم من عشيرتنا ويتكلمون بألسنتنا فهم ليسوا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

أجانب ولا غرباء عنا، ولكنهم خبثاء يقولون ما لا يفعلون، ويبطنون ما يظهرون.

الأبحاث النحوية:

قوله: «كان الناس يسألون» كان: فعل ناقص، والناس اسمها وجملة (يسألون) خبرها. قوله (مخافة أن يدركني) مخافة: مفعول لأجله منصوب بالفتحة الظاهرة،(وأن يدركني) أن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف إليه والتقدير: مخافة إدراكه لي. قوله (وفيه دخن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدّم، ودخنٌ مبتدأ مؤخر. قوله (قوم يهدون بغير هدي) قومٌ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم قوم) وجملة يهدون من الفعل والفاعل في محل رفع صفة لقوم لأنَّ الجمل من بعد النكرات صفات قوله (هم من جلدتنا):ضمير منفصل مبتدأ و (من جلدتنا) هو الخبر أي هم من أبنائنا ومن جماعتنا.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (كان الناس يسألون) الخ جملة خبرية الغرض منها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر)

٢ ـ قوله (عن الخير، وكنت أسأله عن الشر) بين لفظ (الخير والشر) طباقٌ وهو أن يجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهذا النوع يسمى (طباق الإيجاب) وكذلك في قوله (تعرف منهم وتنكر) طباق أيضاً، والأول طباق في الأسم، وهذا طباق في الفعل. وهذا النوع مما يتعلق بعلم البديع

٣ ـ قوله (هم من جلدتنا) كناية عن أنهم من العرب المسلمين فهم ليسوا أجانب عنا إنما هم عشيرتنا وملتنا. قوله (تعضَّ بأصل شجرة) هو كناية عن شدة الحرص على اعتزال الفرق الضالّة والتمسك بالدين كما يعضُّ الواحد على الشيء الذي يحرص عليه كل الحرص ومثله قوله ﷺ في الحديث الآخر: «عضُّوا عليها بالنواجذ».

ترجمة راوي الحديث:

هو (حُذَيْفَةُ بنُ اليمانِ) العَبسيُّ، يكنى أبا عبد الله، واسم والده (حُسَيْل بن جابر) وُلد حذيفة بالمدينة المنورة وأسلم هو وأبوه (اليمان) وحين وقعت غزوة بدر خرج حذيفة مع أبيه يريدان شهود بدرٍ مع رسول الله ﷺ فمنعهما المشركون، يقول حذيفة: (ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت مع أبي فأخذَنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمداً، فقلنا ما نريده فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه بذلك فأمرنا بالانصراف والرجوع، وقد شهد حذيفة وأبوه (اليمان) غزوة أُحُد، فاستشهد والده هنا قتلة أحد المسلمين وهو يحسبه من المشركين

كان حذيفة من كبار الصحابة وهو (صاحب السرِّ) وقد كان معروفاً بين الصحابه بأنه صاحب سرّ رسول الله ﷺ حتى كان عمر رضي الله عنه يسأله عن المنافقين، وكان ينظر إليه عند موت من يموت منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر، وكان حذيفة يقول: (خيَّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النصرة) أي أختار أن يكون أنصارياً، وقد شهد حذيفة فتوح العراق وشهد (نهاوند) وفتح همدان والري. وتوفي سنة ٣٦ هـ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

الشرح الأدبي:

اختصَّ بعض الصحابة الكرام ببعض الخصوصيات، فكان منهم صاحب سرِّ رسول الله ﷺ وهو (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه وأرضاه، وهذا الصحابي الجليل لم يكن ليقنع من هذا الدين العظيم، بالسؤال عن أمور الهدي والرشاد، بل تعداه إلى السؤال عما يهم المسلمين، فكان يسأل رسول الله ﷺ عن المنافقين، وعن أوصافهم، وأعمالهم والرسول ﷺ يطلعه عليهم وينبئه عن أحوالهم وصفاتهم حتى لم يكن أمر المنافقين ليخفي عليه، وكان كبار الصحابة يأتون اليه ويسألون عما حدّثه به الرسول الكريم من أمور تتعلق بالساعة، وبالفتن، وبالمنافقين فكان يخبرهم عن ذلك، وكان عمر رضي الله عنه لشدة خوفه من الله وخشيته من النفاق يأتي إلى حذيفة فيقول

له: أسألك بالله هل عدَّني رسول الله من المنافقين؟ وفي هذا الحديث الشريف يقص علينا حذيفة رضي الله عنه قصة اختصاصه بمعرفة بعض الأمور المغيبة من أمور الساعة، والفتن وأخبار المنافقين فيقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني.. ومن هنا يتبين لنا سرٌّ خصوصيته بمعرفة اسماء المنافقين وصفاتهم فقد كان حريصاً على معرفة دعاة السوء والضلال ومعرفة الشر والفساد ليتجنبهم ويجتنب دعوتهم. ومن خلال هذا الحديث الشريف يتراءى أمامنا جلياً واضحاً تلك الفئة الضالة التي باعت نفسها للشيطان فوقفت تدعو الناس إلى الضلال وإلى جهنم، وليست هذه الزمرة من (دعاة الضلال) هم من الأجانب البعيدين عن الدين، من غربيين أو شرقيين، إنما هم كما وصفهم الرسول الكريم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.. إنهم ممن يزعمون الإسلام ثم يحملون معاول لهدمه، ويجهدون أنفسهم لإطفاء نوره، ويفعلون ما لا يفعله الأعداء، وما أكثر هؤلاء الضالين في هذا الزمان الذين يغيّرون شريعة الله ويهزأون بأحكام الدين، ويقتلون علماء المسلمين، ثم يفعلون من الفظائع ما تشيب له الرؤوس، ويرتكبون من الجرائم ما تقشعرُّ له الأبدان، ويدَّعون بعد ذلك أنهم حماة الإسلام ﴿**وإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ★ ألا إِنَّهُمْ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [1] ألا فليعلم هؤلاء الطغاة الظالمون أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأن بطشه شديد، وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿**وكَذَلِكَ أَخْذُ ربِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وهِيَ ظَالِمةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَليمٌ شَديدٌ**﴾ [2].

فلا يغترَّ هؤلاء الفراعنة المتجبرون بحلم الله، فإن بطش ربك لشديد ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ [3].

★ ★ ★

(١) سورة البقرة، الآية: ١١ ـ ١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

«الوصايا الخمس»

الحديث الحادي والعشرون:

عَنْ أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَذِهِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بهنَّ أو يُعلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بهنَّ؟ قَالَ أبُو هُرَيْرةُ: فقلتُ: أنا يا رسولَ اللهِ، فأخذَ بيدي فعدّ خَمْساً فقال:

★ اتَّقِ المحَارِمَ تَكنْ أعبَد النَّاسِ.
★ وأرْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أغْنى النَّاسِ.
● وأحْسِنْ إلى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً.
●وأحبَّ للنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تكنْ مُسْلِماً.
● ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فانَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ.

«رواه التِرْمِذِيُّ»

الأبحاث العربية:

هذه الكلمات: المراد بالكلمات الوصايا أي: من يسمع هذه الوصايا فيعمل بها.

المحارم: قال في القاموس: المحارم جمع (مَحْرُمَة) وقد تفتح الراءُ (مَحْرَمَة) وهي ما حرم الله فعله وعمله على العباد وفي الحديث الشريف (ألا وإنَّ حِمَى اللهِ في الأرض مَحَارِمُه).

أعبد الناس: أفعل تفضيل أي أكثرهم عبادة، وأعظمهم خشية لله، كتب (ابن المبارك) للقاضي (عياض) يلومه على ترك الجهاد:

«يا عابدَ الحرمين لوْ أبْصَرتنا
لعلمتَ أنكَ في العبادةِ تلعبُ»

« مَنْ كانَ يخضُبُ خَدَّه بدموعهِ
فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ »

قسم الله: أي اقنع بَنصيبك من الدنيا تكن أغنى الناس، فالقناعة كنز لا يفنى، وفي القناعة راحة للقلب والبال قال اشاعر:

« إذا مَا كنتَ ذا قلبٍ قنوع
فأنتَ ومَالكُ الدنيا سَواءُ »

تميت القلب: أي تذهب نوره وبهاءه، وتفقد الإذهان شعوره وإحساسه، فلا يستفيق لنصح، ولا يرتدع عن غيّ. وكثرة الضحك دليل السَّفه، وخف العقل، ولقد أحسن من قال:

« ضحكنا وكانَ الضحك منا سفاهةً
وحُق لأربابِ البرّيةِ أن يبَكوْا »

الأبحاث النحوية:

(تكن أعبدَ): تكن مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وهو متصرف من كان الناقصة، واسمها ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، ولفظ (أعبد) هو الخبر منصوب بالفتحة الظاهرة، وكذلك (تكن أغنى الناس) مثلها في الاعراب.

(بما قسم اللهُ) (ما) اسم موصول مجرور بالباء أي (بالذي) قسمه الله لك والجار والمجرور متعلق بـ (إرْضَ) ولفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة

(تميت القلب) تميت: فعل مضارع والقلب مفعول به، والجملة في محل رفع خبر إنَّ تقديره: فإنَّ كثرة الضحك مميتة للقلب.

الأبحاث اللغوية:

١ ـ قوله (اتق المحارم) جملة انشائية (انشاء طلبي) والغرض من هذه الجملة (الإرشاد) فقد خرج الأمر عن صيغته الأصلية وهي لوجوب والإلزام إلى النصح

والإرشاد. ومثلها الجمل الأخرى (أرض بما قسم الله) و (أحبَّ للناس) و (أحسن إلى جارك)

٢ ـ قوله (بما قسم الله) فيه (إيجاز بالحذف) والمعنى: أرض بما قسم الله لك من العيش والمال والرزق الحلال.. والإيجازُ ضرب من ضروب البلاغة لأن فيه وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة. ولقد كان الرسول ﷺ أفصح البلغاء فقد أعطي جوامع الكلم. ويشترط في الايجاز بالحذف ألا يُخِلَّ بالفهم وأن يكون هناك ما يدل على المحذوف وإلا كان الحذف رديئاً، والكلام غير مقبول

(تميت القلب): فيه استعارة حيث شبّه الظلمة التي تحلُّ بقلب الإنسان المكثر للضحك بالموت، واشتق من لفظ الموت (تميت) فهي (استعارة تصريحية أصلية).

بين لفظ (أعبد الناس وأغنى الناس) سجع وهو من المحسنات البديعية.

الشرح الأدبي:

حين تسمو النفوس وتكبر الآمال، وتصبح الحياة عامرة بالتقوى وفضائل الأعمال، تتطلع النفس البشرية إلى معرفة الفضائل والمكارم، فتصبح العبادة محبوبة الى النفس، وتصبح الطاعة سجية من سجاياها، وبذلك يرتفع الانسان فوق المغويات والمغريات، ولا يبقى للمادة قيمة في نظره، ولا سبيل إلى قلبه. كيف لا وقد أصبحت «المثل العليا» همّه وغايته، وأصبح حبُّ الخير غرضه وهدفه!! والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يوّضح لنا في هذا الحديث النبوي الشريف الذي هو قبس من قبسات النبوة، ومنار من منارات الهدى، يوضح لنا سبيل الخير، ويرشدنا الى مدارج العز والكمال، في وصاياه الثمينة الغالية، التي فيها من النصائح والحكم ما يثلج الصدر ويشفي الغليل.

ففي الوصية الأولى: بيان لمعنى «العبادة» الحقة، فليست العبادة صوراً وأشكالاً، ولا مظاهر وهمية، لا صلة لها بالمجتمع والحياة، بل هي الجمال والجلال، والاستقامة على شريعة الله.. فإذا اجتنبتَ المحارم، وابتعدت عن مزالق الهوى، ومكائد الشيطان،

وطهّرت نفسك من الفحش والرذيلة، فأنت العابد الزاهد، وأنت التقي الصالح، الذي يريده ويحبه الاسلام.. ولله در القائل:

« واتَّـــقِ اللهَ فتقـــوَى اللهِ مَـــا جَـاوَرتْ قَلْـبَ امـرىءٍ إلاَّ وَصَـل »
« لَيْسَ مَـــنْ يقطـــعُ طُـــرْقـــاً بَطلاً إنما مَـــنْ يتقـــي اللهَ البَطَـــلُ »

وفي الوصية الثانية: بيان لحقيقة « الغنى » فليس الغنى بكثـرة المال، ولا بملك العقار، ولا بادخار الثروات وتكديسها، ولكنها في غنى النفس كما قال صلوات الله عليه في حديث شريف: « ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكنَّ الغنى غنى النفس ».. فالرضى بالرزق المقسوم راحة للنفس، وطمأنينة للقلب، بل هو السعادة نفسها، ولقد أحسن من قال:

« ولســـت أرى السعـــادة جمع مـــال ولكـــن التقـــيَّ هـــو السعيـــدُ »

وليست الثروة والمال هي كل النعم التي أنعم الله تعالى بها على الانسان، بل إنَّ من النعم ما يفوق ـ اضعافاً مضاعفة ـ نعمة الغنى والمال.. فالايمان، والصحة، والسلامة، والعيش في ضلال الأمن كلها نِعَمٌ تفوق نعمة المال، وصدق الله **﴿وإنْ تعدُّوا نعمةَ الله لا تحصُوها﴾** (١).

وفي الوصية الثالثة: دعوة الى البر والاحسان.. أن يحسن الانسان إلى أقرب الناس اليه، وأولاهم بحسن معاملته ألا وهو (الجار) الذي أوصى القرآن به في عديدٍ من الآيات، وقال عنه سيد البشر: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ».

وفي الوصية الرابعة: تظهر مثالية الإسلام، في حبه الخير لجميع الأنام، فليس الدين إلا رحمة وعطفاً، وليست الأخلاق إلا إنسانية ونبلاً، ولهذا لا يتحقق بالإسلام إلا من أحب الخير لجميع الناس، دون تفريق بين ألوانهم وأجناسهم وحتى أديانهم،

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٣٤.

وهذا هو أدب القرآن ﴿وقولوا للنَّاسِ حُسْناً﴾ [1] وتوجيه النبوة «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيهِ ما يحب لنفسه».

وفي الوصية الخامسة: دعوة إلى (الخلق الرصين) باجتناب حياة الهزل، وتحذير من الإكثار من الضحك، فإنَّ ذلك مما يتنافى مع وقار المسلم.. فليست الحياة لهواً وعبثاً، وليست هزلاً وصخباً.. بل هي ـ في نظر العاقل ـ حياة جد وكفاح، وعمل ونضال...

فللّه ما أجمل أخلاق الإسلام!! وما أروع نصائح الرسول؟ وما أسعد المسلمين لو تمسكوا بها!!

★ ★ ★

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.